دراسات عسكرية

معركة بدر

بقلم / اللواء الركن
يوسف عبد الله جمل الليل

معركة بدر هي أشهر معارك التاريخ الاسلامي، ورغم صغر حجمها - إذ اشترك فيها نحو ١٣٠٠ مقاتل من الجانبين، ولم تزد ساعات القتال فيها على أربع أو خمس ساعات على الأكثر - فإنها تعتبر بلا شك أعظم انتصارات الاسلام وهي الفتح الأعظم الذي اعز الله به الاسلام والمسلمين، وهي النصر المؤزر الذي توّج الله به جبين نبيه محمد ﷺ. يوم بدر يوم التقى الجمعان جمع المجتمع المسلم في رسوخ يقينه وقوة ايمانه مع قلة عدده وضآلة عدته المادية القتالية، وجمع الفجور الظلوم والكفر الغشوم في غروره وكثرة عدده ووفرة عدته المادية القتالية.

فغزوة بدر كانت يوم سبعة عشر رمضان في السنة الثانية من الهجرة. وكان سببها اقبال أبي سفيان من الشام في عير كثيرة وفيها اموال كثيرة، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فأخرجوا اليها. وكان ابو سفيان قد سمع ان رسول الله ﷺ يريده فأخذ حذره، وبعث الى مكة يستنفر قريشا، وكان السبب في خروجهم حماية العير وإنقاذها.

وكان الذين خرجوا من قريش نحو ألف. منهم ستمائة دارع ومعهم مائة فرس، وكان معهم سبعمائة بعير، وخرجوا ومعهم المغنيات يضربن بالدفوف، وهم في غاية البطر والخيلاء اعتماداً على كثرة عددهم وعدتهم. قال الله تعالى: ﴿ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط﴾(١).

وكان المطعمون لهذا الجيش اثني عشر رجلا منهم أبو جهل ينحر كل واحد منهم كل يوم عشرة من الابل وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾(٢)

أما قوة المسلمين فكان عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ففرح الرسول ﷺ وقال: (عدة أصحاب طالوت الذين جاوز معهم النهر). وخرجت الأنصار ولم تكن قد خرجت معه قبل ذلك، وكانت الابل سبعين والأفراس خمسة. ولما أراد رسول الله ﷺ الخروج لبس درعه ذات الفضول وتقلد سيفه العضب. وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها العقاب والأخرى مع بعض الأنصار.

استشار النبي ﷺ أصحابه في طلب العير أو محاربة النفير، واخبرهم بمسيرة قريش. وقال لهم: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريش فتكلم المهاجرون فأحسنوا، وكان يخشى أن تكون الأنصار لاترى وجوب نصرته. فلما قال لهم أشيروا علي قال له سعد بن معاذ وهو سيد الأنصار: قد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهوداً ومواثيق على السمع والطاعة، فأمض يارسول الله لما أردت فنحن معك فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً. إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء لعل الله يريك فينا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله. فسر رسول الله ﷺ لقوله ثم قال: سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين إما العير وإما النفير.

كان أبو سفيان قد ساحل وترك بدراً على يساره ثم أسرع لما علم بمقدم المسلمين، فلما رأى أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش وهم في الجحفة إن الله قد نجى عيركم وأموالكم فارجعوا. فقال أبو جهل (لاترجع حتى ترد بدراً فنقيم فيها ثلاثاً فتسمع بنا العرب فلايزالون يهابوننا) ومضت قريش حتى نزلت (بالعدوة

في الجهاد والدعوة

الحق كلمة محدودة في مبناها . كيف لا والله جل وعلا سمى نفسه الحق قال سبحانه (**فتعالى الله الملك الحق**)(١) وهو جل جلاله الحق المطلق ومصدر الحق ومنه يبدأ واليه يعود قال تعالى (**له دعوة الحق**)(٢) وقال تعالى (**والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيءان الله هو السميع البصير**)(٣) لقد اقام الله السموات السبع والأرضين السبع وما بث بينهما من نعم ظاهرة وباطنة كل ذلك أوجده الله بالحق وسخر ما شاء ان يسخر منه للانسان بالحق . قال تعالى (**وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق**)(٤) .

وان الله سبحانه وتعالى قد أرسل رسوله وصفوة خلقه بالحق فقال عز من قائل (**انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير**)(٥) وأنزل القرآن بالحق قال تعالى (**وبالحق أنزلناه وبالحق نزل**) (٦) وبين الله فيه للمسلمين الحق فى جميع صوره فى الاعتقاد وهو التوحيد ، والأخلاق ، والمعاملات ويحكم فى كل صراع بين الانسان ونفسه وبينه وأخيه وبينه وعدوه وبين الامم والدول . ولأن الله سبحانه هو الحق فصّل الايات تفصيلا فى كل شيء . ولم يخلق الله الإنسان عبثا فتعالى الله عن ذلك . بل خلقه ليتحمل الأمانة وتبعة الأمانه بالحق وليقوم بأعلاء كلمة الله على الأرض بالحق .

لقد وردت كلمة الحق مجلجلة عندما أطلقها خاتم النبيين المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قبل أربعة عشر قرناً ونيفا

حين دخل مكة المكرمة وأخذ يطوف بالكعبة المشرفة ، ويلقى بالأصنام من عليها وهو يكبر لله ويقول (**وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا**)(٧) وجند الله تكبر وتردد بعد نبيهم ﷺ ، ولا تزال كلمة الحق مدوية وستستمر بإذن الله الى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

عرف صحابة رسول الله ﷺ الحق فاستظلوا بظلاله عن ايمان ويقين واستقاموا عليه وحموا دوحته ، وذادوا عن حياضه . قال الحق فيهم (**من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدو. الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**)(٨) فقد سماهم الله رجال ووصفهم بالصدق لأنهم نصروا الحق فى مكة دون ان يأذن الله لهم بالقتال فكان انتصارا للحق فى نفوسهم وصبروا على أنواع الأذى ، ومن المدينة حينما أمروا بالقتال كان انتصارا للحق على عدوهم ، فمكنهم الله فى مكة التى عذبوا فيها وخرجوا منها بعد ان رفعوا راية الحق .

فالصراع بين الحق والباطل من الأزل حين أمر الله تعالى ابليس بالسجود لآدم عليه السلام فأبى واستكبر ونزل الى الأرض مطروداً من رحمة الله وهو يحمل أسلحة الحقد والحسد على الانسانية كلها يوقع بينها الشرور ويرى فيهما الأحقاد ويعمل على اشعال نار الحرب لمحاربة الحق . فالحق هو الثابت النافع ، وان الباطل هو الضار الزاهق . قال تعالى (**أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال**)(٩) ضرب الله مثلا للحق ومثلا للباطل ، فجعل الحق مثل الماء والحديد وكلاهما نافع وهما باقيان ، وجعل الباطل مثل الصدأ الذى يعلو الحديد والزبد الذى يعلو الماء ، والصدأ والزبد لا فائدة فيهما ولا بقاء لهما .

ان الحق يحتاج إلى قوة تحميه لتستمر هيبته حتى لا يكون لدى الباطل أمل بالتغلب عليه ، ولحماية الحق يتعين اعداد المؤمن الراسخ فى ايمانه المتمسك بعقيدته المتمكن من العلم والمعرفة بمقتضيات عصره الصلب فى ارادته المقتحم للمصاعب بعزيمة لا تنثنى . ولذلك يجب ان تتوفر لدى المؤمنين صفات لحماية الحق وهى ان يتمسكوا بحبل الله المتين ويعتصموا به ولا يتفرقوا ، وان يوفوا بالعهد ، بما يقتضى هذا الوفاء من الصبر على المشاق وتحملها وهذا يتطلب ترويض النفس وتعويدها حتى لا يشق عليه الوفاء ، وليس ذلك الا للمؤمن الذى يضحى فى سبيل الحق كالجندى فى ميادين القتال وهب حياته عن طواعيه للدفاع عن عقيدته والذود عن الأوطان ، فلا يعود منه الا باحدى الحسنيين اما النصر أو الشهادة . ولقد قام سلف هذه الأمة رضوان الله عليهم تحقيقاً لاحقاق الحق بأن ضحوا بأنفسهم واموالهم وبأقرب قريب لهم ثمناً وفداء للحق الذى آمنوا به واعتقدوه ، وهذا ما امر به الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز وماعبر عنه فى الفقه الاسلامى (بالجهـــاد) .

لقد انتدب الله سبحانه وتعالى لهذا الجهاد اهل الحق ليتحملوا تبعاته وينهضوا بمسئولياته ، وهذا فضل وشرف كبير . يقول الله تعالى (**وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم**)(١٠) هذا الاجتباء والاصطفاء والاختبار لهذه الأمة منحة من منح الله جلت قدرته ، ومن كان معه العناية والتوفيق من ربه لا يضل ولا يزل ولا ينهزم . يقول الله سبحانه (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين**)(١١) هؤلاء تظلهم دائما رحمات الله وبركاته هم رجال الحق الذين ربحوا الربح الذى لا يبور واخذوا بخير الدنيا والآخرة . ولكى يتحقق لأهل الحق الجهاد في سبيل الله لا بد ان يتوفر لديهم سلاحين سلاح معنوى وسلاح مادى .

فالسلاح المعنوى هو القوة النفسية وهو الأساس الذى يحرك الانسان ويوجهه والله سبحانه يمكن لهذا السلاح فى كل نفس مؤمنة . فأهل الحق هم جند الله فى ارضه يدافعون عن كل معنى كريم وعن كل هدف عظيم ، ومتى كان الهدف نبيلا فان اصحابه لا يخافون ولا يحزنون قال الله تعالى (**ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين**)(١٢) فالوهن والضعف لا يتسرب الى قلوب المؤمنين ماداموا قد جاهدوا فى سبيل الله والغايات الشريفة . وحتى تقوى الروح المعنوية لدى المجاهدين يقول الحق سبحانه وتعالى (**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون**)(١٣) .